ملامح التوحيد في شخصية الملك نبوخذنصر الثاني

المدرس الدكتور
عادل هاشم علي
جامعة البصرة ـ كلية الاداب

ملخص البحث

البحث عبارة عن تساؤل في الفكر الديني في العراق القديم وهو هل من الممكن ان يخلو تاريخ العراق القديم من مظاهر لديانة توحيدية خالصه ، يعبد فيها اله واحد ولا يعترف بما دونه من اشكال المعبودات الاخرى ، من المعروف ان التاريخ العراقي القديم لم تتضح معالم نصوصه المسماريه بصورة كليـــة ، وان الكثير من هذه النصوص المسمارية الدينية (ذات الطابع الشرقي) قد ترجمت باقلام الغرب وربما بعيدة عن مفهوم التوحيد الحقيقي ، لذا جاءت هذه الترجمات بلغة جامدة وحرفية بحتة .

نجد في شخصية نبوخذ نصر وهو من ملوك الكلدانيين اخر سلالة حكمت في العراق القديم، ملامح من الوحدانية في العبادة وهذا قد يبدو جليا من خلال استنطاق النص المسماري الديني وقراءته بنفس شرقي فضلا عن النص التوراتي(بعد نقده) والنص القرآني الذي يشير الى الجانب التوحيدي في عبودية نبوخذ نصر .

فيما يخص النص المسماري فان هناك نقش على اسطوانة حجرية دونت عليها اعمال الملك نبوخذ نصر بلسان حال الملك نفسه وجاء في العديد من الاسطر اشارة الى نوعية العبادة السائدة انذاك . وهذه الكتابات قد دونت باقلام الكهنة لذا ترى فيها الخلط الكثير في نوع العبادة .

اما النص التوراتي فنجد في سفر ارميا وسفر دانيال اشارات واضحة تذكر بان نبوخذ نصر قد مجد الله العلي القدير وسبحه واعترف له بالشكر الجزيل كونه صاحب النعمة عليه في اقامة مملكة . وان نبوخذ نصر يذكر في هذه الاسفار بانه عبداً لله سبحانه وتعالى كما ان كاتب السفر هو النبي دانيال عليه السلام كان من اكثر الاشخاص الذين قربهم نبوخذ نصر وجعله رئيس للمستشارين البابلين في عهده . ومع ذلك فان في بعض اسطر النص التوراتي مغالطات تاريخية ناقشناها بمزاج تاريخي من خلال البحث .

النص القرآني الذي يشير الى ان نبوخذ نصر كان يعبد الله الواحد الاحد نجد الاشارة الية في سورة الاسراء التي تكلمت عن الفساد الذي يعمله بنو اسرائيل وكيف ان الله القدير يسلط عليهم اقواما يذلونهم ويسبونهم ، وهؤلاء الاقوام باتفاق اغلب المفسرين هم البابليون الكلدان بقيادة نبوخذنصر بما يعرف بالسبي البابلي الثاني٥٨٦ ق.م .على ان في البحث مناقشات حول معنى العبودية ومدى تطابقها مع فكرة البحث . ومع ذلك فان البحث محاولة لا تفرض نفسها في واقع التأكيد.

Abstract

Research is a question in the religious thought in ancient Iraq , the old did not take shape texts cuneiform entirety, and many of these religious texts in cuneiform (oriental) have been translated writers and perhaps the West is far from the true concept of monotheism, so was the language of these translations are purely static and literal.

We find in the character of Nebuchadnezzar, one of the kings of the Chaldeans, the last dynasty ruled in the old Iraq, the features of oneness in worship, this may seem evident from the questioning text cuneiform religious and read the same east as well as the Biblical text (after criticism) and the text of the Holy Qur'an which refers to the monotheism in bondage of Nebuchadnezzar.

With regard to the text, there cuneiform inscription on the stone cylinder recorded by the acts of King Nebuchadnezzar, the king himself spokesman for the event and came in many lines referring to the quality of the worship of the time. These inscriptions have been established writers priests therefore considers that confused many in the type of worship.

The Biblical text, we find in the Book of Jeremiah and Daniel signals and clear reminder that Nebuchadnezzar had the glory of God Almighty, glorify and thank him admitted being the owner of grace in the establishment of his Kingdom. And Nebuchadnezzar is mentioned in the Scriptures as a servant of God Almighty as the travel writer is Daniel the Prophet peace be upon him, was one of their closeness to the people who make the Nebuchadnezzar and the Babylonians, president of the consultants in his era. However, in some lines of text we have discussed the biblical anachronistic mood through historical research.

Qur'anic text which refers to the Nebuchadnezzar who worship God in the one we noted at the Story of which I spoke about corruption, which he does the Israelites and how the Almighty God inflicted upon them some people who humiliated and abused, and these clans agreement most of the commentators are the Babylonians Chaldeans under Nebuchadnezzar what is known as means of capture Babylonian II in 586 BC. m. that in the search discussions about the meaning of slavery and its conformity with the idea of research. However, the research does not try to impose itself in the reality of stress.

المقدمـــــــــة

ان المتمعن في تاريخ العراق الديني الذي يمتد من عصر فجر السلالات السومرية٢٨٠٠ ق.م حتى سقوط بابل الكلدانية ٥٣٩ ق.م يجد ان هذا التاريخ مليء بالاساطير الدينية والخرافات والالهة المتعددة وغيرها من مظاهر الديانات الوضعية . وهذا كله قد وصل الينا من خلال النصوص المسمارية التي تعد وثيقة حية لتلك العصور .

السؤال هو هل ان هذا التاريخ الذي تعاقبت علية الاقوام السومرية االاكدية والبابلية والاشورية والكلدية ، يخلو من مظاهر التوحيد الديني ، هل من الممكن ان يكون هذا التاريخ الطويل خالياً من مظاهر التوحيد وعبادة الاله الواحد ؟

ربما نجد في شخصية نبوخذ نصر وهو من ملوك الكلدانيين اخر سلالة حكمت في العراق القديم، ملامح من الوحدانية في العبادة وهذا قد يبدو جليا من خلال استنطاق النص المسماري الديني وقراءته بنفس شرقي فضلا عن النص التوراتي (بعد نقده) والنص القرآني الذي يشير الى الجانب التوحيدي في عبودية نبوخذ نصر .

فيما يخص النص المسماري فان هناك نقش على اسطوانة حجرية دونت عليها اعمال الملك نبوخذ نصر بلسان حال الملك نفسه وجاء في العديد من الاسطر اشارة الى نوعية العبادة السائدة انذاك . وهذه الكتابات قد دونت باقلام الكهنة لذا ترى فيها الخلط الكثير في نوع العبادة .

اما النص التوراتي فنجد في سفر ارميا وسفر دانيال اشارات واضحة تذكر بان نبوخذ نصر قد مجد الله العلي القدير وسبحه واعترف له بالشكر الجزيل كونه صاحب النعمة عليه في اقامة مملكة . وان نبوخذ نصر يذكر في هذه الاسفار بانه عبداً لله سبحانه وتعالى كما ان كاتب السفر هو النبي دانيال عليه السلام كان من اكثر الاشخاص الذين قربهم نبوخذ نصر وجعله رئيس للمستشارين البابلين في عهده . ومع ذلك فان في بعض اسطر النص التوراتي مغالطات تاريخية ناقشناها بمزاج تاريخي من خلال البحث .

النص القرآني الذي يشير الى ان نبوخذ نصر كان يعبد الله الواحد الاحد نجد الاشارة الية في سورة الاسراء التي تكلمت عن الفساد الذي يعمله بنو اسرائيل وكيف ان الله القدير يسلط عليهم اقواما يذلونهم ويسبونهم ، وهؤلاء الاقوام باتفاق اغلب المفسرين هم البابليون الكلدان بقيادة نبوخذنصر بما يعرف بالسبي البابلي الثاني٥٨٦ ق.م . وقوله تعالى هو :

"وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ

لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾.

على ان في البحث مناقشات حول معنى العبودية ومدى تطابقها مع فكرة البحث . ومع ذلك فان البحث محاولة لا تفرض نفسها في واقع التأكيد.

وقد عملنا على تقديم وتأخير في شرح النصوص الثلاث لا من باب الاقدم (المسماري – التوراتي – القراني) ولا من باب قدسية النص (القراني – التوراتي – المسماري) ، بل من باب كثرة المادة والمعلومات في كل من النصوص الثلاث وهي كما يلي :

اولا / النص التوراتي
ثانياً / النص القراني
ثالثا / النص المسماري

أولا / النص التوراتي

فيما يخص النص التوراتي فان الاشارات الى عبودية الملك نبوخذ نصر وعبادته لله العلي القدير واضحة جداً في اسفار الانبياء أرميا ودانيال وحزقيال ، وكل من هؤلاء الانبياء كانوا معاصرين للملك نبوخذ نصر، وان اسفارهم ذكرت ضمناً الحوادث التاريخية قبل واثناء وبعد السبي البابلي الكبير لمملكة يهوذا (٥٨٦ ق.م) . ولايريد الباحث الدخول الى تفاصيل السبي البابلي لليهود ، الا انه لا ضير من اعطاء نظرة سريعه لحركة سير التاريخ آنذاك .

بعد ان استقرت امور الدولة البابلية الكلدية للملك نبوخذ نصر (٦٠٤ - ٥٦٢ ق.م) اخذ بتوطيد سلطته على مناطق سوريا القديمة والممالك المتفرقة في فلسطين . وبالفعل فقد دانت له ممالك دمشق وصور وموآب وعسقلون وباقي المدن التي اطلق عليها الاشوريون قبلهم اسم (بلاد خاتي mat hatti) وكان يتلقى الجزية من هذه الممالك [١] اما مملكة يهوذا فقد ظل ولائها متأرجحاً بين المصريين في زمن الفرعون (نيخاو ٦١٠ – ٥٩٥ ق .م) [٢] ، حتى قرر يهوياقيم حاكم يهوذا اعلان الثورة ضد السلطان البابلي والانضواء تحت لواء المصريين ؛ ولم يتدخل نبوخذ نصر في هذا التمرد الذي اعلن ضده عام ٥٩٨ ق.م لانه رأى ان هذا الامر طبيعيا بسبب حداثة الإمبراطورية البابلية في مد نفوذها الى هذه المناطق ، لكنه سرعان ما غير رأيه وتوجه بجيشه الى مملكة يهوذا نظراً لمساندة المصريين لها ، وفي اثناء الطريق مات يهوياقيم وخلفه ابنه يهوياكين على عرش مملكة يهوذا . وما ان وصل نبوخذ نصر حتى اطبق الحصار على يهوذا ، ولم يقاوم يهوياكين الجيش البابلي وسلم نفسه واهله الى نبوخذ نصر الذي حمله وعدد من النبلاء ورجال الدين بما فيهم الانبياء ، وعين (صدقيا)[٣] على عرش يهوذا ، وهذا هو السبي البابلي الاول سنة ٥٩٧ ق.م .

أستمر صدقيا على اخلاصه لملك بابل (نبوخذ نصر) في الوقت الذي كانت فيه مصر تتدخل في شؤون العلاقات البابلية اليهوذية باذلة كل الجهود من اجل احداث ثورة في يهوذا ضد الملك البابلي ، وبالفعل فقد نجحت في تأليب صدقيا ضد نبوخذ نصر وعقدت له معاهدات مع امراء ادوم ومؤاب وصيدا وعمون [٤] واعلن صدقيا التمرد ضد ملك بابل ؛ فما كان من الاخير الا ان يقوم بحملة عسكرية كبيرة الى فلسطين وبدأ يحتل مدن يهوذا الواحدة تلو الاخرى حتى بقيت اورشليم العاصمة وحدها تقاوم الهجوم البابلي الذي يقوده نبوخذ نصر مدة ثمانية عشر شهراً انتهت اخيرا بدخول البابليين الكلدان الى اورشليم ودمروا المدينة دمارا فضيعاً احرقوا فيها النيران وهدموا المعبد والقصر وذبح الملك صدقيا ونقل من السكان الذين قاوموا الجيش البابلي مقيدين بالسلاسل الى بابل ، في حين عفي عن الفئة التي تزعمها النبي ارميا والتي كانت ترى بضرورة الاستسلام الى الملك البابلي [٥] .وهذا هو السبي البابلي الثاني الذي حدث في سنة ٥٨٧ ق.م .

هذه الحوادث التاريخية كانت من وجهة نظر دينية انما هي تأديب لبني اسرائيل على فسادهم وعصيانهم وتركهم لعبادة الله سبحانه وتعالى وقتلهم الانبياء بغير حق والعكوف على عبادة الاوثان ، حيث نجد ذلك واضحا في سفر النبي ارميا ، الذي نقل رسالة الله سبحانه وتعالى الى بني اسرائيل :

" .. من اجل كل شرهم لانهم تركوني ، واحرقوا بخوراً لالهة أخرى ، وعبدوا صنعة ايديهم .. قالوا لنصب الخشب انت ابي وللحجر المنحوت صنما ، انت أنجبتني وولوا ادبارهم وليس وجوههم نحوي وفي وقت بليتهم استغاثوا بي قائلين ، قم فانقذنا ، فأين اذاً الالهة التي صنعتموها لانفسكم ؟ "[٦]

وفي الحقيقة ان النص التوراتي يُكثر من تعداد فضائح بني اسرائيل ومعاصيهم في سفر النبي ارميا ، لكن ما يهمنا هو ان الله سبحانه وتعالى قد توعدهم بالعذاب الذي سيكون على يد عباده المؤمنون به حقا وقد وردت الاشارة اليه صراحة بانه الملك البابلي نبوخذ نصر ، حيث جاء في وصفه بانه عبد لله سبحانه وتعالى في سفر ارميا وبصورة تفضيل له على بني اسرائيل الذين لم يعبدوا الله تعالى حق عبادته والنص التالي واضح في عرض مسالة عبودية نبوخذ نصر الذي استخدمه الله تعالى كأداة لتأديب بني إسرائيل حيث نقرا في سفر ارميا :

" هكذا يقول الرب القدير : لانكم عصيتم كلامي فها انا اجند جميع قبائل الشمال بقيادة نبوخذ ناصر <u>عبدي</u> وآتي بها الى هذه الارض فيجتاحونها ويهلكون جميع سكانها مع سائر الامم المحيطة بها واجعلهم مثار دهشة وصفير وخرائب أبدية .. وتستعبد جميع هذه الامم لملك بابل طوال سبعين سنة"[٧] .

اذن فان هذا النص في سفر ارميا يوضح منزلة نبوخذ نصر العبادية لله تعالى . وقد وضح السفر نفسه مكانة الملك نبوخذ نصر عند الله سبحانه وتعالى وجعله وسيلة لتعذيب كل الامم التي لاتدين له وتفضيله على كل الشعوب بما فيها بني اسرائيل الذين اعتبروا انفسهم شعب الله المختار! ونقرأ في السفر ما نصه :

" هذا ما يعلنه الرب القدير اله إسرائيل : انا بقوتي العظيمة وبذراعي الممدوة صنعت الارض بما عليها من بشر وبهائم ووهبتها لمن طاب لي ا ن اهبها له ، والان قد عهدت بجميع هذه الاراضي الى نبوخذنصر ملك بابل عبدي واعطيته حيوان الحقل ليكون في خدمته فتستعبد له ولابنه ولحفيده جميع امم الارض الى ان يحين موعد استعباد ارضه .. ولكن ا ن ابت أية امة او مملكة الاستعباد لنبوخذنصر ملك بابل ورفضت ان تضع عنقها تحت نيره فاني اعاقبها بالسيف والجوع والوباء الى ان ابيدهم بيده {يد نبوخذ نصر } .. ولكن كل امة تستسلم الى ملك بابل وتستعبد له ابيها في ارضها ، يقول الرب فتحرثها وتقيم فيها " [٨] .

هذا النص يوضح منزلة نبوخذ نصر عند الله سبحانه ويصفه بالعبد الذي طاب ذكره عند الرب، ووهبت له جميع الاراضي، وربما يقصد هنا ارضي فلسطين المقدسة عند بني اسرائيل او الارض التي لم يصونها بني اسرائيل بعد ان واعدهم الله تعالى بها. ولا يعقل ان يعطي الله العلي القدير هذه القدرات والمباركات الى ملك لا يدين له بالعبودية ويجعل من الانبياء مستشارين له، كما عمل دانيال وحزقيال وعزرا مستشارين لنبوخذ نصر ملك بابل الذي اكرمهم وقربهم اليه اكثر من اي شخص اخر.كما سيمر بنا لاحقا

وبالمعنى نفسه (اي عبودية نبوخذ نصر لله تعالى) نجد في مكان اخر وبالتحديد في سفر النبي حزقيال ان الله تبارك وتعالى يكافئ جيش نبوخذ نصر لخدمتهم ضد الملوك الوثنيين ويكمل ما بدأه من منح البركات على نبوخذ نصر وجيشه وهذا ما يرد نصه كالاتي :

" ان ملك بابل نبوخذ ناصر قد سخر جيشه أشد تسخير ضد صور ، فاصبحت كل رأس من رؤوس جنوده صلعاء وكل كتف مجردة من الثياب ولكن لم يغنم هو ولا جيشه شيئاً من صور رغم ما كابده من جهد للاستيلاء عليها . لذلك هذا ما يعلنه السيد الرب : ها أنا أبذل ديار مصر لنبوخذناصر ملك بابل فيستولي على ثروتها ويسلبها غنائمها وينهبها فتكون هذه أجرة لجيشه قد اعطيته ارض مصر لقاء تعبه لانه هو وجيشه قد عملوا في خدمتي ." [٩]

ثم ننتقل بالنص التوراتي الى مرحلة تاريخية لاحقة وهي فترة رجوع الملك نبوخذ نصر الى بابل في اعقاب سبي اليهود الاخير حيث انه أخذ بتقريب الانبياء من بني إسرائيل وهـم (دانيال وعزريا وميشائيل) ويذكر النص التوراتي إحداثا تاريخية في البلاط البابلي يشوبها الارتباك والغموض قصد في بعض فقراتها النيل من شخصية الملك نبوخذ نصر، لكن بين أسطر هذه الروايات والنقولات التوراتية نجد نصوصاً تخص بحثنا المتعلق بتوحيد نبوخذ نصر لله ، ولنأخذ الواضح منها جداً . فبعد ان يذكر كتبة الموروث التوراتي ان نبوخذ نصر القى في اتون النار هؤلاء الانبياء (سنرد على هذه التهم لاحقا)وخرجوا الانبياء سالمين نقرأ في سفر دانيال قول نبوخذ نصر مانصه :

" تبارك إله شدرخ وميشخ وعبد نغو{ الاسماء الكلدانية للانبياء} الذي ارسل ملاكه وأنقذ عبيده الذين اتكلوا عليه ،لهذا صدر مني امر ا ناي شعب او اي امة او اي قوم من أي لسان يذمون إله شدرخ وميشخ وعبد نغو يمزقون اربا اربا ، إذ ليس هناك إله آخر يقد ان ينجَي مثله ." [١٠] .

ونرى ان النبي دانيال يصبح كبير المستشارين عند نبوخذ نصر بعد تفسيره لحلم حلم به الملك لم يستطع اي من المنجمين الوقوف على حقيقته الا النبي دانيال فنال من جراء ذلك حظوة كبيرة في البلاط البابلي (وهذا يذكرنا بالنبي يوسف) . وكما ذكرنا ان هذا سفر دانيال قد شابه الكثير من الخلط ، لكن نجد في بعض نصوصه التي نسبت الجنون الوقتي لنبوخذ نصر (سنرد على ذلك ايضاً) ان الاخير قد صرَح بعبوديته لله سبحانه وتعالى في تمجيد وتعظيم للخالق عز وجل نقرأها بالنص التالي :

" من نبوخذ ناصر الى جميع الشعوب والامم والاقوام من كل لسان المقيمين في كل الارض ليكثر سلامكم قد طاب لي ان احدث بالايات والعجائب التي صنعها الله العلي فما اعظم اياته وما اقوى عجائبه .... انا نبوخذ نصر باركت العلي وسبحت الحي الابدي ذا السلطان السرمدي والذي ملكه على مدى الاجيال وعرفت ان كل اهل الارض لايحسبون شيئاً وانه يفعل ما يشاء في جند السماء وسكان الارض وليس من يكف يده او يقول له ماذا تفعل ؟ في ذلك الحين ثاب لي عقلي وعاد الي جلال مملكتي وازدادت عظمتي جدا فالان انا نبوخذناصر اسبح وأمجد واحمد ملك السماء الذي جميع أعماله حق وطرقه عادلة وقادر على إذلال كل من يسلك بالكبريـــاء . " [١١] .

ولا احسب ان نجد اوضح من هذا النص الذي يتحدث عن توحيد نبوخذ نصر وعبادته لله العلي الحي الابدي السرمدي . ثم ان هناك استنباط آخر يتعلق بخدمة الانبياء في حضرة الملوك ، إذ ليس من الممكن ان يخدم الانبياء كمستشارين في حضرة الملوك الكفرة والجاحدين لربوبية الله العظيم ، فكيف ان ثلاثة من الانبياء يتقدمهم النبي دانيال يخدمون في حضرة الملك نبوخذ نصر اذا افترضنا انه فعلا لا يعترف بالاله الواحد ، وقبل ذلك نجد ان النبي إرميا يعلن صراحة لليهود قبل السبي ان يذعنوا ويستسلموا لهذا الفاتح الجديـــد (نبوخذنصر)؛ فليس من المعقول ان يقوم نبي بإذلال شعبه وتقديمه هدية لفاتح كافر او عابد للالهة المتعددة لان هذا ينافي مبادئ الانبياء في اتمام رسالاتهم . ومع ذلك فان الباحث لا يركن الى الضنيات من القول وانما يعتمد على النصوص المنقحة من المصادر المختلفة.

هناك بعض التهم التي نسبها كاتبو العهد القديم وهذه الاتهامات جاءت لتحريف المقصد الاصلي للنص التوراتي الصحيح، والغاية من ذلك هو اما المساس بشخصية ما او حقداً على مدينة او تعصبا لطائفة او ارضاءاً لمطامح شخصية. لهذا فان كتاب العهد القديم(الذي بين ايدينا) يجب ان يعامل بتخصصية عالية وبالاخص في يتعلق بالحوادث التاريخية . وفي هذا السياق نجد من النصوص التوراتية مايتصل بشخصية البحث(نبوخذ نصر) .

ان مسالة توحيد الملك نبوخذ نصر وعبادته لله سبحانه وتعالى ثابتة في العهد القديم ، لكن الاختلاف الحاصل في نصوصها يكمن في الفترة التي دخل فيها نبوخذ نصر الى دين التوحيد ، فكتبة العهد القديم

يرون ان نبوخذ نصر قد اعترف بالاله الواحد (الله عز وجل) بعد ان اخضع الانبياء الثلاثة (دانيال وميشائيل وعزريا) لاختبار السجود امام التمثال الذهبي الذي صنعه وعندما رفض هؤلاء الانبياء السجود للتمثال أمر بهم الى أتون النار فخرج هؤلاء الانبياء من النار سالمين فقال نبوخذ نصر تبارك اله شدرخ وميشخ وعبد نغو الذي ارسل ملاكه وانقذ عبيده وان اي شعب او قوم من اي لسان يذمون اله شدرخ وميشخ وعبد نغو يمزقون إربا إربا [١٢] .

هذا الاتهام الموجه لنبوخذ نصر باحراقه للانبياء يختلط في مضمونه مع احراق الملك نبوخذ نصر للانبياء الكاذبين الذين كانوا يتبأون لبني اسرائيل في بعد سبيهم لبابل بالكذب ويقللون من قيمة هذا السبي ويوقتون زمن عودتهم الى اورشليم وأستئناف حياتهم مرة اخرى . وقد ورد اسم هؤلاء المتنبئين الكذبه وهم (أخاب بن قولايا وصدقيا بن مسعيا) اذ انهم تكلموا باسم الله العظيم زوراً وكذباً وهم ليسوا بانبياء حقيقيون ويذكر النبي ارميا في قوله : " اما انتم فاسمعوا كلمة الرب ياجميع المسبين .. يقول الرب القدير إله اسرائيل عن آخاب بن قولايا وعن صدقيا بن مسعيا الذين يتنبآن لكم باسمي زوراً :

" ها انا اسلمهما ليد نبوخذناصر ملك بابل فيقتلهما على مرأى منكم فيصبحان لعنة بين جميع المسبيين من يهوذا في بابل فيقال ليجعلك الله نظير صدقيا وأخاب الذين قلاهما ملك بابل في النار" [١٣] .

اذن فان النص التوراتي هنا يتناقض في حال اعترافه بتوحيد نبوخذ نصر مع احراقه للانبياء الصادقين . ولكن يصبح من الممكن اي يحرق الملك نبوخذ نصر المتنبئين الكاذبين . لكن كتبة الموروث الديني التوراتي ارادوا ان يصنعوا حاله من الكراهية للملك الذ ي سباهم من ارضهم واسكنهم في بابل وهو- امر معروف عن اليهود فيمن يعاديهم او يضر مصالحهم .

التهمة الثانية التي الصقت بشخصية الملك نبوخذ نصر، والتي للاسف تناقلها المؤرخون وكانها واقعة تاريخية، هي نسبة الجنون الى الملك نبوخذ نصر التي دامت سبع سنوات عاش خلالها الملك نبوخذ نصر مع الحيوانات البرية اكلاً وشاربا في البوادي. وقد ورد هذا المضمون في النص التوراتي الذي يذكر بان نبوخذ نصر بعد ان استقرت له الامور ودانت له البلدان اصابه الغرور والكبرياء واحس بالعظمة البالغة؛ حتى ان بعض شارحي التوراة قد بالغوا في هذا المعنى واتهموا نبوخذ نصر بانه شبه نفسه بالاله او بابن الاله. فكان جزاء الملك نبوخذ نصر ان ابتلاه الله تعالى بالجنون مدة سبعة سنوات حيث نقرأ ذلك بالنص الاتي : :

" وفيما كان نبوخذ ناصر يتمشى على سطح قصر بابل الملكي . قال أليست هذه بابل العظيمة التي بنيتها بقوة اقتداري لتكون عاصمة للملكة ولجلال مجدي. وفيما كانت كلماته بعد تتردد على شفتيه تجاوب صوت من السماء: " يا نبوخذ نصر الملك لك يقولون الان قد زال عنك الملك. ويطردونك من بين الناس فتأوي مع حيوان الصحراء ويطعمونك العشب كالثيران فتمضي عليك سبعة أزمنة حتى تعلم أن العلي متسلط في مملكة الناس يهبها لمن يشاء. في تلك الساعة تم حكم القضاء على نبوخذ نصر

فطرد من بين الناس وأكل العشب كالثيران وابتل جسمه بندى السماء حتى طال شعره مثل النسور وأظفاره مثل براثن الطيور. وفي ختام السبعة ازمنة انا نبوخذناصر التفت نحو السماء فرجع الي عقلي وباركت العلي ومجدت وحمدت الحي الابدي ..... " [١٤] .

إذن نبوخذ نصر عاش سبع سنوات عيشة الهوان مع الحيوانات !! ولا يود الباحث ان يناقش هذا النص المرتبك الا انه يكتفي بسؤال وهو من الذي قام بشؤون حكم الدولة البابلية المترامية الاطراف في فترى جنون نبوخذ نصر ؟ هل يعقل ان يجن ملك فيخلع عن عرشه ثم يعاد بعد جنونه الى سدة الحكم ؟

لعل تعليل هذا الالتباس في النص السالف في نسبة الجنون الى نبوخذ نصر ومعيشته حياة البرية يتصل بشخصية ملك بابلي آخر وهو اخر ملوك الدولة البابلية الحديثة (نبونائيد ٥٥؟؟ - ٥٣٩ ق.م) الذي غاب عن بابل مدة عشرة سنوات استقر فيها في البادية الشمالية للجزيرة العربية وتحديدا في مناطق تيماء ودومة الجندل ويتريبو(يثرب) [١٥]. ويعلل الاستاذ المرحوم طه باقر نشوء هذه التهمة قائلاً :" والمرجح ان يكون غياب (نبونيدس = نبونائيد) الطويل عن بابل مصدر الاسطورة التي عن نهاية حكم الملك نبوخذ نصر بحسب الدعاية اليهودية... بالنظر الى العداء والحقد الذين يحملهما اليهود من اسرى بابل ازاء ذلك الملك الذي قضى على كيان مملكتهم " [١٦] .

وما يهمنا من امر ان نبوخذ نصر قد اعلن عباراته التوحيدية والممجدة لله تعالى (العلي الحي الابدي ذا السلطان السرمدي) وهي بمعنى واحد سواء تلك العبارت التي اطلقت قبل او بعد جنونه (كما يزعمون) . وبعبارة اخرى ان النصوص التوراتية قد اعترفت صراحة ان الملك نبوخذ نصر هو عبد الله تعالى الذي ارسله الى اليهود في مملكة يهوذا وفاخرهم به وفرض عليهم طاعته كما جاء على لسان نبيهم (الصادق) أرميا ، وما الصق به من تهم حاولت النيل من عبوديته واعربت عن كراهية بني اسرائيل لا سيما المسبيين منهم لهذا الملك . ومن باب الاضافة نستذكر النص القرآني الذي تكلم عن كراهية بني إسرائيل لمن يكون أداة للرب في عذابهم كما حصل منهم ان عادوا الملاك جبريل عليه كما في قوله تعالى**": قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ** [١٧].

ثانياً / النص القرآني

الآيات الكريمة التي تمدنا بمادة البحث هي من سورة الإسراء والتي من ضمن ما فيها من معاني ، عرض لأحوال بني إسرائيل في الأزمان القديمة والتي تلحقها ، وقد نصت الآية الكريمة بقوله عز وجل :

" وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ

لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا " [١٨].

هذه الآية الكريمة نستدل منها (تدبراً) [١٩] ، بان بني إسرائيل قد عاثوا في الأرض (الأرض المقدسة) فسادا وابتعادا عن عن احكام الله تعالى ، بل انهم اخذوا يشركون بعض الآلهة الى جانب عبادتهم لله تعالى، فضلاً عن تكذيبهم وقتلهم الانبياء . لذا فانهم نالوا من الله تعالى العذاب والهوان تم على يد العباد الذين ارسلهم الله عز وجل على بني إسرائيل .

يتفق معظم العلماء المفسرون و باختلاف مذاهبهم على ان (بختنصر = نبوخذ نصر) هو المعني بهذه الآية الكريمة [٢٠]. ويطابق هذا المضمون ما حدث في زمن نبوخذ نصر من هوان وسبي لليهود في الحدث التاريخي الذي سمي (السبي البابلي ٥٩٧ ، ٥٨٦ ق.م) [٢١] .

ولكي نصل الى الغاية المنشودة في البحث (توحيد وعبودية نبوخذ نصر) نستعين خلال قراءة النص القراني بالمفسرين واللغوين في تبيان المقصد التاريخي في الآية الكريمة والذي نرى بانه يلامس موضوع البحث. فضلا عن المقاصد القرآنية الاخرى .

في مفردات القران الكريم يذكر الراغب الأصفهاني بان القضاء هو فصل الامر وهذا ربما يكون قولاً او فعلاً وهو على وجهين ، منه إلهي والاخر بشري ؛ والذي يفيدنا هنا هو القضاء الالهي بوجهتيه .

فالقضاء الالهي اذا كان قولا فهو ياتي بصيغة الأمر والإيعاز كا في قوله تعالى " وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ " [٢٢] .

اي ان ربك أمر بإن لا يعبد الا هو .

كما تأتي مفردة القضاء من القول الإلهي لتقابل الإعلام والإخبار والإيحاء [٢٣] كقوله تعالى " وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ " [٢٤] .

وهذا المعنى الاخير ينطبق على آية البحث " وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ "

أي اخبرنا بني إسرائيل واوحينا اليهم في كتابهم انكم ستفسدون في الارض التي كتبها الله تعال لكم وتعلون وتتكبرون بخطاياكم . والعلو هنا كناية عن الطغيان بالظلم والتعدي[٢٥] ، كما في قوله تعالى :"إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ " [٢٦] .

اذن فان الله تعالى قد اخبر بني إسرائيل بفسادهم في الارض المقدسة حيث اقاموا مملكتهم (يهوذا) وعاصمتها اورشليم (القدس) وانهم سيرتكبون اثاماً كبيرة توجب العقاب على يد من يختارهم الله تعالى في تنفيذ إرادته ومشيئته. اما عن اهم هذه الذنوب والكبائر فقد مر تبيانها في الكلام عنها في النص التوراتي لاسيما ما ورد من نصوص في سفر إرميا. وهذا يطابق الفساد الاول لبني إسرائيل والذي ورد في آية البحث.

ثم تنتقل الآية الكريمة الى قوله تعالى

"فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝ "

هذا النص الشريف يرفد البحث بالإشارة الى الملامح العبادة والتوحيد لله عز وجل والصادر من هؤلاء العباد الذين ارسلهم الله تعالى لبني إسرائيل .

السؤال هنا هل كلمة (عباداً لنا) تشير الى كل من يدخل في عبودية الله تعالى ويكون موحداً خالصا له ؟ ام انها تشمل جميع الخلق والناس من الذين يعبدون الله تعالى ومن لا يعبده ويعبد الاصنام باعتبار ان كل الخلق هم عبيد الله تعالى .

ترد في القران الكريم كلمتين تشيران الى معنى العبودية لكنهما تختلفان في المقصد . الكلمة الاولى (عباد) ، والثانية (عبيد) ؛ فاما الاولى فهي تفيد للتخصيص من الخلق ومفردها عابد [٢٧] وقد وردت هذه المفردة في القرآن الكريم في مايقارب من (٤١ مرة) وكلها تقترن بالمؤمنين من العباد والصالحين والانبياء والعابدين لله تعالى ، باستثناء كلمة العباد في قوله تعالى (ياحسرة على العباد) التي افادت التعميم لدخول (ال) عليها .

الكلمة الثانية المقابلة (عبيد) وهي للعموم من الخلق ومفردها (عبد) وقد وردت في خمس مواقع في القرآن الكريم وكلها تكاد تختص بالذين ظلموا انفسهم والمقابلة لها بقوله تعالى " وان الله ليس بظلام للعبيد " او قوله الكريم " وماربك بظلام للعبيد " وقوله عز وجل " {مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} [٢٨] . وكل هذه الايات الكريمة معناها قريب من الله تعالى لا يظلم من الخلق من كان عابدا له ومن لم يكن كذلك، وكان يعبد الاصنام وينتسب بعبوديته اليها مثل عبد شمس وعبد اللات ونحو ذلك [٢٩] .

ويضيف اهل اللغة والتفسير فروقات بين الكلمتين (عباد وعبيد) تبين ان كلمة عباد تخص من كان عابداً لله تعالى وموحداً له ، والثانية(عبيد) تشمل كل الناس العابدين لله تعالى والمشركين والكافرين به ، وهو بذلك رب الخلق جميعاً [٣٠] . ويمكن ملاحظة ذلك من ذكر بعض الايات التي وردت فيها كلمة عباد الخاصه بالموحدين كامثلة لا سبيل الحصر بقوله تعالى :

ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ [٣١] .

قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ [٣٢] .

قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ [٣٣] .

كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ [٣٤]

قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ [٣٥] .

نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ [٣٦] .

يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ [٣٧] .

جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا [٣٨] .

وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا [٣٩] .

يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ [٤٠]

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا [٤١]

هذه جملة من الايات التي اشارت الى كلمة عباد وجاءت مرتبطة مع المؤمنين والانبياء والملائكة والذين تنالهم رحمة الله تعالى والذين يبشرهم بالمغفرة وأعد لهم جنات ومن النعيم ماهو الله اعلم به . واسترسالاً بتأكيد كلمة (عباداً لنا) كنها تشير الى العابدين لله تعالى نستنطق نهاية الاية الكرية في قوله الكريم :

" فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا " [٤٢] .

فمن الامور المتفق عليها عند المفسرين ان الذين يدخلون المسجد (الاقصى) بعد فساد اليهود الثاني هم المسلمون (يغض النظر عن الطائفة) الموحدون لله تعالى، وهي اشارة الى التشابه في الاعتقاد والعباده مع الاقوام الذين (دخلوه اول مرة) وهو التوحيد والايمان به عز وجل .

وبالعودة الى آية البحث نجد ان الكلمة يتضح معناها بعد الصاق (لنا) لكلمة عباد وهي تشير بوضوح الى تحديد صلة العبودية وانتسابها الى الله عز وجل؛ وعليه يكون المرسل الى بني اسرائيل هو من عباد الله تعالى الموحدين، وهو ينطبق كما اسلفنا باجماع اغلب المفسرين على نبوخذ نصر الذي جاس خلال الديار في فترة السبي البابلي وبالاخص السبي البابلي الثاني (٥٨٦ ق.م) ودخوله مدينة اورشليم عاصمة مملكة يهوذا واحراقه الهيكل والمعبد الذي أخذ يمارس به طقوس لا تمت الى التوحيد بصلة، وتنكيله برجال الدين الذين ضللوا بني اسرائيل، وبالمقابل تكريمه للانبياء الصادقين من القوم وفي مقدمتهم النبي إرميا [٤٣].

اذن يمكن ان تتضح طبيعة العبادة والتبعية الدينية لنبوخذ نصر (وحتى اتباعه) بانها كانت بارتباط مع الله سبحانه وتعالى وانه كان يدين بديانة التوحيد ؛ لكن هذا التوحيد وصل الينا شائباً في النصوص المسمارية وملوث باقلام الكهنة الذين احتكروا مهنة الكتابة و اعادة التدوين التاريخي واعمال الملوك وكل

الاحداث التاريخية تقريبا بدءاً من حادثة الطوفان . وسنحاول في المطلب الثالث تنقية بعض النصوص المسمارية التي تحمل في جوهرها ملامح للعبادة التوحيدية ، محاولين الاستفادة من الفهم الشرقي للنص المسماري (الشرقي هو الاخر) وباستخدام الادوات الصحيحة الموصلة الى فهم معنى التوحيد .

ثالثاً / النص المسماري

تعتتمد دراستنا في هذا المبحث على عدد من النصوص المسمارية يأتي في مقدمتها النص المسمى ب(كتابات نبوخذ نصر inscription of Nebuchadnezzar) [٤٤] وهو عبارة عن قطعة ادبية جاءت مدونة بلسان حال الملك نبوخذ نصر تتكلم عن قيام الملك ببناء مدينة بابل والمعابد فيها وتمجيد انتصاراته والاشارة الى العامل الديني المساعد في هذا العمران والازدهار لمدينة بابل؛ وقد ورد في بعض الفقرات عبارات ومفردات تشير بمعناها الى العبادة التوحيدية، مع الاعتراف بوجود ما يناقض ذلك، لكن قراءة لهذه النصوص الواردة في نقوش نبوخذنصر بنفس شرقي متمعن قد يظهر فيها جوانب من التوحيد التي يمثل قطبها الالـــه (مردوخ) اله البابليين القومي، فضلاً عن الاستعانة بنصوص مسمارية اخرى توضح هذا المعنى .

ننقل هنا اهم الفقرات التي تشير الى فكرة البحث وقد اوردناها برقم العمود والسطر حسبما وردت في النص الاصلي المسماري وهي :

Nebuchadnezzar [1.1]نبوخذنصر
King of Babylon, [1.2]ملك بابل
glorious Prince, [1.3]الملك المجيد
worshipper of Marduk, [1.4]عابد الاله مردوخ
adorer of the **lofty one**, [1.5]مبجل **الواحد** العلي
When he,the Lord god my maker made me [1.23]عندما انشأني خالقي السيد الرب
the god Merodach, he deposited [1.24]الاله مردوخ ، أودع
my germ in my mother's (womb): [1.25]بذرتي في رحِـم أمي
then being conceived [1.26]بعدها حملت [بي]
Whereas Merodach, great Lord, [1.40]لما كان مردوخ ، السيد العظيم
the head of My ancient Royalty, [1.41]سيد عائلتي الملكية القديمة
hath empowered me over multitudes of men, [1.42] ملّكني على كثير من الناس
Lord of all beings, and . . . [1.55]إله كل الموجودات ، و
as Prince of the lofty house [1.56] ملك البيت العالي [السماء]
the Prince of the gods, the great Merodach, [2.3]أمير الالهة مردوخ العظيم
my gracious Lord, heard [2.4]الهي اللطيف ، [قد] سمع دعائي
and received my prayer; [2.5] وتقبل صلاتي
of Merodach, Lord of the house of the gods, [2.44] لمردوخ سيد بيت الالهة[السماء]

Deity of heaven and earth, the Lord god, [2.58]]اله السماء والارض ، الاله السيد
the Chief of the gods, the Prince Merodach, [3.3] رئيس الالهة ، الامير مردوخ

the King of gods, the Lord of Lords [3.35]ملك الالهة ، سيد الاسياد
To Merodach my Lord [9.45] لسيدي مردوخ
my hand I lifted: [9.46]رفعت يدي [بالدعاء] :
0 Merodach the Lord, Chief of the gods, [9.47] يأيها السيد مردوخ ، [يا] رئيس الالهة
a surpassing Prince thou hast made me, [9.48, 49][يا] سيداً لامثيل له أنت خلقتني
and empire over multitudes of men, [9.50]وملّـــكتني على كثير من الناس
hast in trusted to me as precious lives; [9.51, 52]بثقتك بي اعيش حياة كريمة

هذه المقتطفات من كتابات نبوخذ نصر (او على الاقل ما نقل عنه) تشير بصورة واضحة الى التوحيد في العبادة والتبجيل والصلاة للمعبود (مردوخ) ، وقد اوردنا هذه الفقرات بنصها المترجم حتى يتسنى للقارئ فهمها بادواته الخاصة التي قد نشترك معه فيها .

كما في النص الاصلي (كتابات نبوخذ نصر) ذكراً لمعبودات اخرى وهي قليلة مقارنة بعدد الالهة في العراق القديم ؛ وهذه الالهة مثلا (نابو ، اينانا = عشتار . وغيرها) ، لكن ما يلفت النظر ان الاله مردوخ هو الوحيد استخدم معه لفظة (السيد lord) في حين ان باقي المعبودات استعمل معها كلمة (اله GOD) ، وفي التفسير اللغوي لهاتين المفردتين يلاحظ ان كلمة السيد(بمعناها الالهي) اوسع من الاله لان الاخير حسب المعتقدات القديمة محدود السلطة في حين ان السيد مطلق السلطة والسيادة .

وربما نجد ان هذه الفكرة مقبولة اذا ما رجعنا الى نصوص مسمارية اخرى تخص (مردوخ) منها ما ورد في نهاية قصة الخليقة البابلية ، إذ تكلم الالهة عن مردوخ وهتفوا :

" إذا انقسم البشر بشأن الالهة
اما نحن ، فبجميع الاسماء التي اطلقناها عليه ، ليكن هو الهنا " [٤٥] .

ويعلق الاستاذ رينيه لابات على هذا بقوله : "وكأني بالشاعر ههنا ، وهو يستشف وحدانية الله [سبحانه وتعالى] ، يتخيل ان هذه الصيغة العليا من الشعور الديني تظل فوق متناول فكرة البشر المتقلبة ، ولا يمكن ادراكها إلا بالعقل الالهي . ولكنها مع ذلك مذكورة ههنا " . [٤٦]

وهنا اشارة الى العامل الغيبي في العبادة ، وهو عامل اساسي في ديانة التوحيد (الخالصة) والتي يمثلها الاسلام ، فمن المعروف ان توحيد الله سبحانه وتعالى على ثلاثة اوجه (توحيد الذات ، توحيد الافعال ، توحيد الصفات) ؛ واذا انطلقنا من المفهوم الاخير نجد ان هناك نصاً مسماري اخر يحاكي هذا الاعتقـــاد (التوحيدي) ويعتبر ان اسماء الالهة انما هي مظاهر متنوعة للاله مردوخ . وقد سمي هذا النص (الالهة أقانيم (ذوات) مردوخ) ونقرأ فيه :

(إن الاله) "تون " هو مردوخ فيما يخص الفلاحة ،

لوكال – إن – كي- ا هو مردوخ بوصفه اله الينابيع ،

نينورتا هو مردوخ بوصفه اله المعزقة ،

نركال هو مردوخ فيما يخص المعركة ،

زبابا هو مردوخ بوصفه الصراع ،

انليل هو مردوخ فيما يخص السيادة والاستشارة ،

نابو هو مردوخ فيما يخص الحسابات ،

سين [القمر] هو مردوخ حينما ينير الليل ،

شمش هو مردوخ في كل ما يخص العدالة ،

ادد هو مردوخ فيما يخص المطر ،

تيشباك هو مردوخ فيما يخص الفنان ،

الاله الكبير هو مردوخ فيما يخص اله كرزيزو ،

شوكامون هو مردوخ حينما يتعلق الامر بالسلة ،

ايا [انكي] هو مردوخ لمدرة الطين . [٤٧]

وهذا النص لمتمعنه تتضح أمور التوجه التوحيدي الذي حاول كاتب النص من خلاله تبسيط وتقريب فكرة التوحيد الى عقول واذهان القوم انذاك . وهو من جهة اخرى لا يدع مجال الى القول بالتفريد او التفضيل(henotheism) اي تفضيل او افراد اله مع الاعتراف بباقي الالهة [٤٨] ، لان مسميات الالهة في اعلاه انما هي مظاهر قدرة الاله الواحد وليست الهه في ذاتها .

ولتعزيز صورة الملامح العبادة التوحيدية عند نبوخذ نصر ، نرجع الى النص الخاص به ونقرأ:

0 Merodach the Lord, Chief of the gods, [9.47] يأيها السيد مردوخ ، [يا] رئيس الالهة a surpassing Prince thou hast made me, [9.48, 49][يا] سيداً لامثيل له أنت خلقتني and empire over multitudes of men, [9.50]ومل‍ـــكتني على كثير من الناس hast in trusted to me as precious lives; [9.51, 52]بثقتك بي اعيش حياة كريمة

فمن المعلوم في الميثولوجيا السومرية والبابلية القديمة ان لكل من السماء والارض اله خاصٌ بهما ، فالاله (آنو) كان يمثل اله السماء ، والاله (انكي = أيا) كان يمثل الارض . او كما يصورهما الاستاذ جاكوبسون بان (آنو) هو القوة الكامنة في السماء وليس السماء نفسها ، وكذلك الامر بالنسبة لانكي = ايا الذي لا يمثل الارض وانما قوتها [٤٩] ؛ اذن من الممكن (في اعتقاد القوم) اي يكون مردوخ خالق السماء والارض بذاتهما ، وهذا لا ينطبق على أي من المعبودات الاخرى في العراق القديم .

وعلى المنوال نفسه اعلان نبوخذ نصر بان خالقه هو مردوخ وانه خالق بذرته الاولـى (النطفة) وواضعها في رحم امه . وهذا انكار من قبله لمعتقدات الدين السومري والبابلي بان خلق الانسان انما هو من اختصاص الاله (انكي = أيا) وبمساعدة الالهه الخالقة (ننماخ = السيدة العظيمة) [٥٠] . وفي نص طويل اخر نجد الالهة (مامي= نينتو = ارورو) تشترك مع الاله ايا= انكي في خلق الانسنان [٥١] . وفي نص اخر تشرك هذه المعبوده مع الاله مردوخ في خلق الانسان ونقرافي ذلك ماصه :

خلق مردوخ البشرية

خلقت ارور معه الجنس البشري [٥٢] .

ويبدو ان بعض الفقرات من كتابة ونقوش نبوخذ نصر تتشابه الى حدٍ كبير ما مربنا في شرح النص التوراتي ، وهذا يتمثل في كتابة نبوخذ نصر بان ربه وسيده الذي لا مثيل له (النص اعلاه 52-9.48) هو الذي ملكه على جموع البشر وعاش كريما بثقة سيده به . وهذا المعنى يقابل ما ورد في سفر النبي إرميا : **" هذا ما يعلنه الرب القدير اله إسرائيل : ... قد عهدت بجميع هذه الاراضي الى نبوخذنصر ملك بابل عبدي واعطيته حيوان الحقل ليكون في خدمته فتستعبد له ولابنه ولحفيده جميع امم الارض الى ان يحين موعد استعباد ارضه " [٥٣] .**

اذن يتضح من خلال ما تقدم ان نبوخذنصر قد ارتسمت على على شخصيته ملامح التوحيد والعباده الموجهه للاله الواحد من خلال قراءة النصوص المسمارية. لكن السؤال هنا هل الاله (مردوخ) هو الاله الواحد الذي نعرفه نحن المسلمون الموحدون ؟

الجواب يجب ان يكون حذرا لانه كحد السيف ، ولكن بعد جمع النصوص الثلاثـــة (القراني والتوراتي والمسماري) ، قد تتضح الصورة للقارئ ولكني -- من جانبي -- لا الزمه الاخذ بها ، لاني ان كنت مخطئاً فاني لا اريد ان احمل ذنبا الى ذنبي ، وان كنت مصيباً فمن الله الواحد الاحد التوفيق والسداد. لذا اترك الرأي للقارئ واكتفي بصدق نيتي في اظهار ملامح التوحيد في التاريخ القديم لا سيما بلاد الرافدين ارض الأنبياء .

الهوامـــــش

[١] حياة ابراهيم محمد : نبوخذنصر الثاني . وزارة الثقافة والاعلام (بغداد – ١٩٨٢) ص ٦٢ .
[٢] وهو احد فراعنة الاسرة السادسة والعشرين كانت له طموحات توسعيه في مناطق سوريا القديمة انتهت بالقضاء عليه من قبل الملك نبوخذ نصر في معركة قرقميش ٦٠٥ ق.م
[٣] صدقيا هو عم يهوياكين واخوه في نص توراتي اخر انظر الملوك ٢الايام ٢ بيومي ص٤ق٤٠
[٤] طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة. دار الشؤون الثقافية،ط٢،(بغداد – ١٩٨٦)ج١، ص ٥٤٩
[٥] محمد بيومي مهران:دراسات في الشرق الادنى القديم.دار المعرف الجامعية (الاسكندرية– ١٩٩٩)ص٤٤٣-ص٤٤٤
[٦]سفر ارميا ١/ ١٦ ، ١٨ .
[٧]سفر ارميا ٢٥ / ٨- ١١
[٨]سفر ارميا ٢٧ / ٥- ١١ .
[٩]سفر حزقيال ٢٩ / ١٨ – ٢١ .
[١٠]سفر دانيال ٣/ ٢٦ – ٣٠ .
[١١]سفر دانيال ٤ / ٢٧ – ٢٩ ، ٣٤ – ٣٧ .
[١٢]ينظر القصة كاملة في سفر دانيال ٣/ ١- ٢٩ .
[١٣]سفر ارميا ٢٩ / ٢٠ – ٢٣ .
[١٤] سفر دانيال ٤/ ٢٨ _ ٣٧ .
[١٥] طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ج١ ، ص ٥٥٤-٥٥٥ .
[١٦] المصدر نفسه ، ص ٥٥٥ .
[١٧] سورة البقرة / الآية ٩٧ .
[١٨] سورة الاسراء الاية ٤ – ٧ .
[١٩] الاشارة هنا الى قوله الكريم أفلا يتدبرون القرآن . لا من باب التفسير لان لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم
[٢٠] كتب اتفاسير تتفق على ذلك وهي كثيرة جداً لكننودر هنا جملة من اهم هذة التفاسير ومن كل المدارس والاتجاهات وهي مثلاً لا سبيل الحصر: (تفسير مجاهد بن جبر المخزومي ت ١٠٤ هـ)- ، (الطبري ت٣١٠ هـ : جامع البيان) ،(الثعلبي ت٤٢٧هـ: الكشف والبيان) ، (الطوسي ت٤٦٠ : البيان لجامع علوم القران) ،(الزمخشري ت٥٣٨هـ : الكشاف) ،(الطبرسي ت ٥٤٨ هـ : مجمع البيان) ،(الرازي ت٦٠٦ هـ : التفسير الكبير) ،(القرطبي ت٦٧١هـ: الجامع لاحكام القرآن) ، (ابن كثير ت٧٧٤ هـ :تفسير القرىن الكريم) (الفيروزآبادي ت ٨١٧هـ: تفسير القرآن) ،(السيوطي ت ٩١١ : الدر المنثور في التفسير بالمأثور) ، (محمد حسين الطباطبائي ت ١٤٠٢ هـ : الميزان في تفسير القرآن) . وهذه التفاسير وغيرها تذكر عدة ملوك في هذه الاية الا انهم يذكرون بختنصر = نبوخذ نصر في المقام الاول .
[٢١] طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة. دار الشؤون الثقافية العامة،ط٢،(بغداد – ١٩٨٦) ج٢ ،ص٥٥٠.
[٢٢] سورة الاسراء / الاية ٢٣ .
[٢٣] الراغب الاصفهاني: مفردات الفاظ القرآن. تحقيق صفوان عدنان داوودي، ط٢،(قم–١٤٣٧هـ) ص٤٧.
[٢٤] سورة الحجر/ الاية ٦٦ .
[٢٥] محمد حسين الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن . تحقيق إياد باقر سلمان . دار احياء التراث العربي ،ط ١ (بيروت – ٢٠٠٦) جـ ١٣ ، ص ٣١ .
[٢٦] سورة القصص / الاية ٤ .

[٢٧] الراغب الاصفهاني: المصدر السابق ، ص ٥٤٣ .
[٢٨] سورة ق / الاية ٢٩
[٢٩] الراغب الاصفهاني : المصدر السارق ، ص٥٤٣ .
[٣٠] ورد في أدعية الصالحين عبارة: يا من يعطي من سأله ومن لم يسأله ومن لم يعرفه تحنناً منه ورحمة "
[٣١] سورة الانعام / الاية ٨٨ .
[٣٢] سورة الاعراف / الاية ٣٢ .
[٣٣] سورة الاعراف / الاية ١٢٨
[٣٤] سورة يوسف/ الاية ٢٤ .
[٣٥] سورة ابراهيم / الاية ٣١ .
[٣٦] سورة الحجر / الاية ٤٩ .
[٣٧] سورة النحل / الاية ٢ .
[٣٨] سورة مريم ٦١ .
[٣٩] سورة الفرقان / الاية ٦٨ .
[٤٠] سورة الزخرف / الاية ٦٨ .
[٤١] سورة الانسان / الاية ٦ .
[٤٢] سورة الاسراء / الاية ٧
[٤٣] للتفصيل حول السبي البابلي لليهود والظروف المحيطة به ينظر : محمد بيومي مهران : دراسات في الشرق الادنى القديم.دار المعرف الجامعية (الاسكندرية - ١٩٩٩) ص، ٤٣٤ – ص ٤٥٣ .
[٤٤] BABYLONIAN AND ASSYRIAN LITERATURE ;(INSCRIPTION OF NEBUCHADNEZZAR) TRANSLATED BY REV. J.M. RODWELL, M.A. P. F. Collier & Son, New York – (Colonial Press, 1901). PP.204 - 216 .
[٤٥] قصة الخليقة البابلية : اللوح ٤ السطر ١١٩ -١٢٠ . رينيه لابات : المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين . ترجمة الاب البير أبونا ، ط٢ (بغداد – ٢٠٠٤) ، ص ٩٦ .
[٤٦] رينينه لابات : المصدر نفسه ، ص ٩٧ .
[٤٧] رينينه لابات المصدر نفسه ، ص٩٧ – ص ٩٨ .
[٤٨] عامر سليمان : العراق في التاريخ القديم . دار الكتب (الموصل – ١٩٩٣) ص ١١٦ .
[٤٩] ثوركيلد جاكوبسون ارض الرافدين ؛ ضمن كتاب ما قبل الفسفة . ترجمة جبرا ابراهيم جبرا ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيـــروت – ١٩٨٠) ، ص ٢١٣ – ص ٢١٤ .
[٥٠] للتفصيل ينظر اسامه عدنان يحيى : عصر الالهة، دراسة في اساطير وادي الرافدين . (بغداد – ٢٠٠٩) ص ١٩٠ – ص١٩٢ .
[٥١] اسطورة اتراخاسيس من العمود ٤ – ٦ .
[٥٢] اسطورة الخلق من اريدو ، الاسطر ٩ – ١٠ .
[٥٣] سفر ارميا : ٢٧ / ٥ – ١١ .